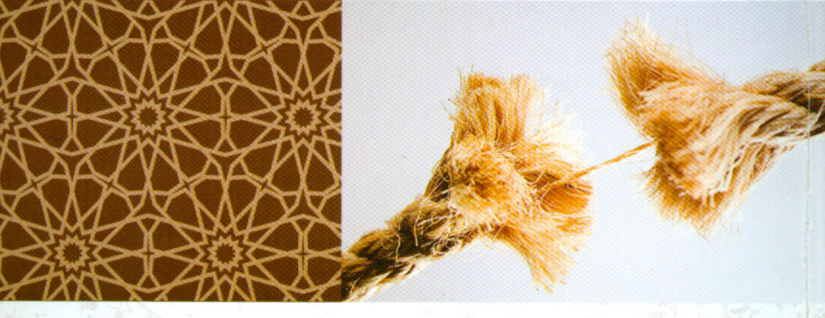
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
الإدارة العامة للتوجيه والإرشاد بالمسجد الحرام

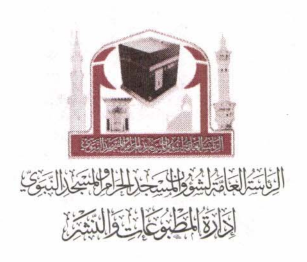
ظاهرة ضعف الإيمان



تأليف فضيلة الشيخ
محمد صالح المنجد

تنفيذ





البريد الإلكتروني
pub@gph.gov.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١] .

أما بعد:

فإن ظاهرة ضعف الإيمان مما عمَّ وانتشر في المسلمين، وعدد من الناس يشتكي من قسوة قلبه، وتتردد عباراتهم: «أحسُّ بقسوة في قلبي، لا أجد لذة للعبادات، أشعر أن إيماني في الحضيض، لا أتأثر بقراءة القرآن، أقع في المعصية بسهولة، وكثيرون آثار المرض عليهم بادية. وهذا المرض أساس كل مصيبة، وسبب كل نقص وبلية.

وموضوع القلوب موضوع حساس ومهم، وقد سُمِّي القلب قلبًا لسرعة تقلبه قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا لبطن**»(١) وفي رواية: «**مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الريح ظهرًا لبطن**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٨) وهو في صحيح الجامع (٢٣٦٥).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم(٢٢٧)، وإسناده صحيح: ظلال الجنة في تخريج السُّنة للألباني (١/ ١٠٢).

وهو شديد التقلب كما وصفه النبي ﷺ بقوله: «**القلب ابن آدم أسرع تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا**»(١)، وفي رواية: «**أشد انقلابًا من القدر إذا اجتمعت غليًا**»(٢)، والله سبحانه وتعالى هو مقلب القلوب ومصرفها كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**»(٣).

وحيث ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ وأنه لن ينجو يوم القيامة ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ وأن الويل ﴿ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وأن الوعد بالجنة لـ ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ كان لابد للمؤمن أن يتحسس قلبه ويعرف مكمن الداء وسبب المرض، ويَشْرَعَ في العلاج قبل أن يطغى عليه الران فيهلك،

---

(١) المرجع السابق رقم(٢٢٦) وإسناده صحيح: ظلال الجنة (١/ ١٠٢).
(٢) رواه أحمد (٦/ ٤) وهو في صحيح الجامع رقم(٥١٤٧).
(٣) رواه مسلم رقم (٢٦٥٤) ط. عبد الباقي.

والأمر عظيم والشأن خطير، فإن الله قد حذرنا من القلب القاسي والمقفل والمريض والأعمى والأغلف والمنكوس والمطبوع المختوم عليه.

وفيما يلي محاولة للتعرف على مظاهر مرض ضعف الإيمان وأسبابه وعلاجه، أسأل الله أن ينفعني بهذا العمل وإخواني المسلمين، وأن يجزي بالجزاء الأوفى من ساهم في إخراجه. وهو سبحانه المسئول أن يُرَقق قلوبنا ويهديها، إنه نعم المولى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أولاً: مظاهر ضعف الإيمان

إن مرض ضعف الإيمان له أعراض ومظاهر متعددة فمنها:

١- **الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات**: من العصاة من يرتكب معصية يصرُّ عليها، ومنهم من يرتكب أنواعًا من المعاصي، وكثرة الوقوع في المعصية يؤدي إلى تحولها عادةً مألوفة، ثم يزول قبحها من القلب تدريجيًا حتى يقع العاصي في المجاهرة بها، ويدخل في حديث: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا، وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»**[(١)].

٢- ومنها: **الشعور بقسوة القلب وخشونته**: حتى ليحس الإنسان أن قلبه قد انقلب حجرًا صلدًا لا يترشح منه شيء ولا يتأثر بشيء، والله جلا وعلا يقول: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ

---

(١) رواه البخاري: الفتح (١٠/ ٤٨٦) ط. دار الفكر.

﴿كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة: ٧٤]. وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات ولا الجنائز، وربما حمل الجنازة بنفسه وواراها بالتراب، ولكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار.

٣- **ومنها: عدم إتقان العبادات:** ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار، فيقرؤها بطريقة رتيبة مملة هذا إذا حافظ عليها، ولو اعتاد أن يدعو بدعاء معين في وقت معين أتت به السنة، فإنه لا يفكر في معاني هذا الدعاء، والله سبحانه وتعالى: «**... لا يقبل دعاء من قلب غافل لاهٍ**»[1].

٤- **ومن مظاهر ضعف الإيمان:** التكاسل عن الطاعات والعبادات وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

---

(١) رواه الترمذي رقم(٣٤٧٩) وهو في السلسلة الصحيحة (٥٩٤).

ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة، وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر. فقد يؤخر الحج وهو قادر، ويتفارط الغزو وهو قاعد، ويتأخر عن صلاة الجماعة ثم عن صلاة الجمعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يخلفهم الله في النار**»(١).

ومثل هذا لا يشعر بتأنيب الضمير إذا نام عن الصلاة المكتوبة، وكذا لو فاتته سنة راتبة أو وِرْد من أوراده فإنه لا يرغب في قضائه ولا تعويض ما فاته، وكذا يتعمد تفويت كل ما هو سنة أو من فروض الكفاية، فربما لا يشهد صلاة العيد (مع قول بعض أهل العلم بوجوب شهودها) ولا يصلي الكسوف والخسوف، ولا يهتم بحضور الجنازة ولا الصلاة عليها، فهو راغب عن الأجر، مستغن عنه، على النقيض ممن وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) رواه أبو داود رقم(٦٧٩) وهو في صحيح الترغيب رقم(٥١٠).

ومن مظاهر التكاسل في الطاعات، التكاسل عن فعل السنن الرواتب، وقيام الليل، والتبكير إلى المساجد وسائر النوافل، فمثلاً صلاة الضحى لا تخطر له ببال فضلاً عن ركعتي التوبة وصلاة الاستخارة.

٥- **ومن المظاهر** : ضيق الصدر وتغير المزاج وانحباس الطبع حتى كأن على الإنسان ثقلاً كبيرًا ينوء به، فيصبح سريع التضجر والتأفف من أدنى شيء، ويشعر بالضيق من تصرفات الناس حوله، وتذهب سماحة نفسه، وقد وصف النبي ﷺ الإيمان بقوله: **«الإيمان: الصبر والسماحة»**(١). ووصف المؤمن بأنه: **«يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»**(٢).

٦- **ومن مظاهر ضعف الإيمان**: عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده ولا بأمره ولا نهيه ولا في وصفه للقيامة، فضعيف الإيمان يملُّ من سماع القرآن، ولا تطيق نفسه مواصلة قراءته، فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه.

---

(١) السلسلة الصحيحة رقم(٥٥٤، ٢/ ٨٦).
(٢) السلسلة الصحيحة رقم(٤٢٧).

٧- ومنها: الغفلة عن الله عَزَّوَجَلَّ في ذكره ودعائه سبحانه وتعالى، فيثقل الذكر على الذاكر، وإذا رفع يديه للدعاء سرعان ما يقبضهما ويمضي، وقد وصف الله المنافقين بقوله: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

٨- ومن مظاهر ضعف الإيمان عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن لهب الغيرة في القلب قد انطفأ فتعطلت الجوارح عن الإنكار، فلا يأمر صاحبه بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يتمعر وجهه قط في الله عَزَّوَجَلَّ، والرسول ﷺ يصف هذا القلب المصاب بالضعف بقوله في الحديث الصحيح: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها [أي: دخلت فيه دخولاً تامًا] نُكت فيه نكتة سوداء [أي نقط فيه نقطة] حتى يصل الأمر إلى أن يصبح كما أخبر عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث: «أسود مربادًّا [بياض يسير يخالطه السواد] كالكوز مجخيًّا [مائلاً منكوسًا] لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»(١).

(١) رواه مسلم رقم(١٤٤).

فهذا زال من قلبه حب المعروف وكراهية المنكر، واستوت عنده الأمور، فما الذي يدفعه إلى الأمر والنهي، بل إنه ربما سمع بالمنكر يعمل في الأرض فيرضى به، فيكون عليه من الوزر مثل وزر من شاهده فأقره كما ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح «**إذا عُمِلَت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها** – وقال مرة أنكرها – **كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»(١) فهذا الرضا منه وهو عمل قلبي أورثه منزلة الشاهد في الإثم.

٩ – ومنها: حب الظهور، وهذا له صور منها:

* **الرغبة في الرئاسة والإمارة** وعدم تقدير المسؤولية والخطر، وهذا الذي حذر منه رسول الله ﷺ بقوله: «**إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئس الفاطمة**»(٢). [قوله:«**نعم المرضعة**» أي: أولها لأن معها المال والجاه واللذات، وقوله:«**بئس الفاطمة**» أي» آخرها لأن معها القتل والعزل والمطالبة بالتبعات يوم القيامة].

---

(١) رواه أبوداود رقم(٤٣٤٥)، وهو في صحيح الجامع (٦٨٩).

(٢) رواه البخاري رقم(٦٧٢٩) ط. البغا.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي؟! أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل**»[١]. ولو كان الأمر قيامًا بالواجب وحملاً للمسئولية في موضع لا يوجد من هو أفضل منه مع بذل الجهد والنصح والعدل كما فعل يوسف عليه السلام إذًا لقلنا أنعم وأكرم، ولكن الأمر في كثير من الأحيان رغبة جامحة في الزعامة، وتقدم على الأفضل، وغمط أهل الحقوق حقوقهم، واستئثار بمركز الأمر والنهي.

* **محبة تصدر المجالس والاستئثار بالكلام وفرض الاستماع على الآخرين**، وأن يكون الأمر له، وصدور المجالس هي المحاريب التي حذرنا منها رسول الله ﷺ بقوله: «**اتقوا هذه المذابح** -يعني المحاريب-»[٢].

* **محبة أن يقوم له الناس إذا دخل عليهم لإشباع حب التعاظم في نفسه المريضة**، وقد قال رسول الله ﷺ:«**من سرَّه أن يَمْثُلَ**[٣] **له**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٧٢) وهو في صحيح الجامع (١٤٢٠).

(٢) رواه البيهقي (٢/ ٤٣٩) وهو في صحيح الجامع (١٢٠).

(٣) أي ينتصب ويقوم.

عباد الله قيامًا فليتبوأ بيتًا من النار»[١]. ولذلك لما خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير [وفي رواية: «**وكان أرزنهما**»] فقال معاوية لابن عامر: اجلس فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب أن يمثل له الرجال قيامًا فيلتبوأ مقعده من النار**»[٢]. ومثل هذا النوع من الناس يعتريه الغضب لو طبقت السنة فبُدئ باليمين، وإذا دخل مجلسًا فلا يرضى إلا بأن يقوم أحدهم ليجلس هو رغم نهيه ﷺ عن ذلك بقوله: «**لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه**»[٣].

١٠ - **ومنها: الشح والبخل**، ولقد مدح الله الأنصار في كتابه فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وبيّن أن المفلحين هم الذين وُقوا شحّ أنفسهم، ولا شك أن ضعف الإيمان يولد الشح بل قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا**»[٤].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٧) انظر السلسلة الصحيحة (٣٥٧).

(٢) رواه أبوداود رقم(٥٢٢٩) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧) وهو في السلسلة الصحيحة (٣٥٧).

(٣) رواه البخاري الفتح (١١/ ٦٢).

(٤) رواه النسائي: المجتبى (٦/ ١٣) وهو في صحيح الجامع (٢٦٧٨).

أما خطورة الشح وآثاره على النفس فقد بيَّنها النبي ﷺ بقوله: **«إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»**(١).

وأما البخل فإن صاحب الإيمان الضعيف لا يكاد يخرج شيئًا لله ولو دعا داعي الصدقة، وظهرت فاقة إخوانه المسلمين، وحلت بهم المصائب. ولا أبلغ من كلام الله في هذا الشأن، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

١١- ومنها: **أن يقول الإنسان ما لا يفعل**، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣]. ولا شك أن هذا نوع من النفاق، ومن خالف قوله عمله صار مذمومًا عند الله مكروهًا عند الخلق، وأهل النار سيكتشفون حقيقة الذي كان يأمر بالمعروف في الدنيا ولا يأتيه، وينهاهم عن المنكر ويأتيه.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٢٤) وهو في صحيح الجامع رقم(٢٦٧٨).

١٢- ومنها: السرور والغبطة بما يصيب إخوانه المسلمين من فشل أو خسارة أو مصيبة أو زوال نعمة، فيشعر بالسرور لأن النعمة قد زالت، ولأن الشيء الذي كان يتميز عليه غيره به قد زال عنه.

١٣- ومن مظاهر ضعف الإيمان: النظر إلى الأمور من جهة وقوع الإثم فيها أو عدم وقوعه فقط وغض النظر عن فعل المكروه. فبعض الناس عندما يريد أن يعمل عملاً من الأعمال لا يسأل عن أعمال البر وإنما يسأل: هل هذا العمل يصل إلى الإثم أم لا؟.. هل هو حرام أم أنه مكروه فقط؟ وهذه النفسية تؤدي إلى الوقوع في شَرَك الشبهات والمكروهات، مما يؤدي إلى الوقوع في المحرمات يومًا ما، فصاحبها ليس لديه مانع من ارتكاب عمل مكروه أو مشتبه فيه ما دام أنه ليس محرمًا، وهذا عين ما أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: «من وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...»[(١)].

---

(١) الحديث في الصحيحين واللفظ لمسلم رقم(١٥٩٩).

بل إن بعض الناس إذا استفتى في شيء وأُخبر أنه محرم، يسأل هل حرمته شديدة أو لا؟! وكم الإثم المترتب عليه؟ فمثل هذا لا يكون لديه اهتمام بالابتعاد عن المنكر والسيئات، بل عنده استعداد لارتكاب أول مراتب الحرام، واستهانة بمحقرات الذنوب مما ينتج عنه الاجتراء على محارم الله، وزوال الحواجز بينه وبين المعصية، ولذلك يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: **«لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عَزَّوَجَلَّ هباء منثورًا»** قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: **«أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»**[(١)].

فتجده يقع في المحرم دون تحفظ ولا تردد، وهذا أسوأ من الذي يقع في الحرام بعد تردد وتحرج، وكلا الشخصين على خطر، ولكن الأول أسوأ من الثاني. وهذا النوع من الناس يستسهل

---

(١) رواه ابن ماجه رقم(٤٢٤٥) قال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وهو في صحيح الجامع (٥٠٢٨).

الذنوب نتيجة لضعف إيمانه، ولا يرى أنه عمل شيئًا منكرًا، ولذلك يصف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حال المؤمن وحال المنافق بقوله: (**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا**) (أي دفعه بيده)[(١)].

١٤- **ومنها: احتقار المعروف، وعدم الاهتمام بالحسنات الصغيرة:** وقد علَّمنا ﷺ ألا نكون كذلك، فقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي جري الهجيمي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئًا ينفعنا الله تبارك وتعالى به، فقال: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط**»[(٢)]. فلو جاء يريد أن يستسقي من بئر وقد رفعت دلوك فأفرغته له، فهذا العمل وإن كان ظاهره صغيرًا لا ينبغي احتقاره، وكذا لقيا الأخ بوجه طلق، وإزالة القذر والأوساخ من المسجد،

---

(١) رواه البخاري الفتح (١١/ ١٠٢) وانظر تغليق التعليق (٥/ ١٣٦) المكتب الإسلامي.

(٢) مسند أحمد (٥/ ٦٣) وهو في السلسلة الصحيحة (١٣٥٢).

حتى ولو كان قشة، فلعل هذا العمل القليل يكون سببًا في مغفرة الذنوب، والرب يشكر لعبده مثل هذه الأفعال فيغفر له، ألم تر أنه ﷺ قال: **«مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأُدْخِل الجنة»**(١).

إن النفس التي تحتقر أعمال الخير اليسيرة فيها سوء وخلل، ويكفي في عقوبة الاستهانة بالحسنات الصغيرة الحرمان من مزية عظيمة دلَّ عليها قوله ﷺ: **«من أماط أذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة، ومن تقبلت له حسنة دخل الجنة»**(٢).

وكان معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمشي ورجل معه فرفع حجرًا من الطريق فقال [أي الرجل]: ما هذا؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رفع حجرًا من الطريق كتب له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة»**.

١٥ - عدم الاهتمام بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها لا بدعاء ولا صدقة ولا إعانة: فهو بارد الإحساس تجاه ما يصيب إخوانه

---

(١) رواه مسلم رقم(١٩١٤).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم(٥٩٣) وهو في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٨٧).

في بقاع العالم من تسلط العدو والقهر والاضطهاد والكوارث، فيكتفي بسلامة نفسه، وهذا نتيجة ضعف الإيمان، فإن المؤمن بخلاف ذلك، قال النبي ﷺ: **«إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»**(١).

١٦- ومن مظاهر ضعف الإيمان: انفصام عرى الأخوة بين المتآخين: يقول عليه الصلاة والسلام: **«ما توادَّ اثنان في الله - جل وعز - أو في الإسلام فيفرّق بينهما أول ذنب** [وفي رواية: فَفُرّق بينهما إلا بذنب] **يحدثه أحدهما»**(٢). فهذا دليل على أن شؤم المعصية قد يطال الروابط الأخوية ويفصمها، فهذه الوحشة التي يجدها الإنسان بينه وبين إخوانه أحيانًا هي نتيجة لتدني الإيمان بسبب ارتكاب المعاصي؛ لأن الله يسقط العاصي من قلوب عباده، فيعيش بينهم أسوأ عيش، ساقط القدر زريَّ الحال لا حرمة له، وكذلك يفوته رفقة المؤمنين ودفاع الله عنهم، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا.

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٣٤٠) وهو في السلسلة الصحيحة (١١٣٧).

(٢) البخاري في الأدب المفرد رقم(٤٠١) وأحمد في المسند (٢/ ٦٨) وهو في السلسلة الصحيحة (٦٣٧).

١٧- **ومنها: عدم استشعار المسئولية في العمل لهذا الدين:** فلا يسعى لنشره ولا يسعى لخدمته على النقيض من أصحاب النبي ﷺ الذين لما دخلوا في الدين شعروا بالمسئولية على الفور، وهذا **الطفيل بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كم كان بين إسلامه وذهابه لدعوة قومه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؟! لقد نفر على الفور لدعوة قومه، وبمجرد دخوله في الدين أحس أن عليه مسئولية عظيمة، فطلب من الرسول ﷺ أن يرجع إلى قومه، فرجع داعية إلى الله سبحانه وتعالى، والكثيرون اليوم يمكثون فترات طويلة ما بين التزامهم بالدين حتى وصولهم إلى مرحلة الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

كان الناس أصحاب محمد ﷺ يقومون بما يترتب على الدخول في الدين من معاداة الكفار والبراءة منهم ومفاصلتهم، فهذا **ثمامة بن أثال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رئيس أهل اليمامة - لما أسر وجيء به فَرُبط في المسجد وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ثم قذف الله النور في قلبه فأسلم وذهب إلى العمرة، فلما وصل مكة قال لكفار قريش: «**لا يصلكم حبة حنطة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول**

الله ﷺ»[١]. فمفاصلته للكفار، ومحاصرته لهم اقتصاديًا وتقديم كافة الإمكانات المتاحة لخدمة الدعوة حصلت على الفور؛ لأن إيمانه الجازم استوجب منه هذا العمل.

١٨- **ومن مظاهره الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة،** فتراه مرتعد الفرائص، مختل التوازن، شارد الذهن، شاخص البصر، يحار في أمره عندما يصاب بملمَّة أو بلية، فتنغلق في عينيه المخارج وتركبه الهموم، فلا يستطيع مواجهة الواقع بجَنان ثابت، وقلب قوي، وهذا كله بسبب ضعف إيمانه، ولو كان إيمانه قويًّا لكان ثابتًا، ولواجه أعظم الملمَّات وأقسى البليات بقوة وثبات.

١٩ - **ومنها: كثرة الجدال والمراء المقسي للقلب،** قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: **«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»**[٢]، فالجدال بغير دليل ولا قصد صحيح يؤدي إلى الابتعاد عن الصراط المستقيم، وما أكثر جدال

---

(١) رواه البخاري الفتح (٨/ ٨٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٢) وهو في صحيح الجامع (٥٦٣٣).

الناس اليوم بالباطل، يتجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ويكفي دافعًا لترك هذه الخصلة الذميمة قوله ﷺ: **«أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا»**(١).

٢٠ - ومنها: التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاسترواح إليها: فيتعلق القلب بالدنيا إلى درجة يحس صاحبه بالألم إذا فاته شيء من حظوظها كالمال والجاه والمنصب والمسكن، ويعتبر نفسه مغبونًا سيئ الحظ لأنه لم ينل ما ناله غيره، ويحس بألم أكثر وانقباض أعظم إذا رأى أخاه المسلم قد نال بعض ما فاته هو من حظوظ الدنيا، وقد يحسده ويتمنى زوال النعمة عنه وهذا ينافي الإيمان كما قال النبي ﷺ: **«لا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد»**(٢).

٢١ - ومنها: أن يأخذ كلام الإنسان وأسلوبه الطابع العقلي البحت ويفقد السمة الإيمانية: حتى لا تكاد تجد في كلام هذا الشخص أثرًا النصِّ من القرآن أو السُّنة أو كلام السلف رحمهم الله.

---

(١) رواه أبو داود (٥/ ١٥٠) وهو في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) أخرجه النسائي: المجتبى (٦/ ١٣) وهو في صحيح الجامع (٧٦٢٠).

٢٢- ومنها: المغالاة في الاهتمام بالنفس مأكلاً ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا: فتجده يهتم بالكماليات اهتمامًا بالغًا، فينمق هندامه ويجهد نفسه بشراء الرقيق من اللباس ويزوِّق مسكنه وينفق الأموال والأوقات في هذه التحسينات، وهي مما لا ضرورة له ولا حاجة، مع أن من إخوانه المسلمين من هم في أشد الحاجة لهذه الأموال، ويعمل هذا كله حتى يغرق في التنعم والترفه المنهي عنه كما في حديث معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعث به النبي ﷺ إلى اليمن وأوصاه فقال: «**إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»(١).

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٥٥) وهو في السلسلة الصحيحة (٣٥٣) وعند أحمد بلفظ إياي: المسند (٥/ ٢٤٣).

ثانيًا: أسباب ضعف الإيمان

إن لضعف الإيمان أسبابًا كثيرة، ومنها ما هو مشترك مع الأعراض، مثل الوقوع في المعاصي والانشغال بالدنيا، وهذا ذكر لبعض الأسباب مضافًا إلى ما سبق:

١- **الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة:** وهذا مدعاة لضعف الإيمان في النفس، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. فدلت الآية الكريمة على أن طول الوقت في البعد عن الأجواء الإيمانية مدعاة لضعف الإيمان في القلب، فمثلاً: الشخص الذي يبتعد عن إخوانه في الله فترة طويلة لسفر أو وظيفة ونحو ذلك؛ فإنه يفتقد الجو الإيماني الذي كان يتنعم في ظلاله، ويستمد منه قوة قلبه. والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه، يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إخواننا أغلى عندنا من أهلينا، فأهلونا يذكِّرُوننا بالدنيا، وإخواننا يذكِّرُوننا بالآخرة).**

وهذا الابتعاد إذا استمر يخلف وحشة تنقلب بعد حين إلى نفرة من تلك الأجواء الإيمانية. يقسو على إثرها القلب ويظلم، ويخبو فيه نور الإيمان. وهذا مما يفسِّر حدوث الانتكاسة لدى البعض في الإجازات التي يسافرون فيها أو عقب انتقالهم إلى أماكن أخرى للعمل أو الدراسة.

٢- **الابتعاد عن القدوة الصالحة**: فالشخص الذي يتعلم على يدي رجل صالح يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح وقوة الإيمان، يتعاهده ويحذيه مما عنده من العلم والأخلاق والفضائل، لو ابتعد عنه فترة من الزمن؛ فإن المتعلم يحس بقسوة في قلبه، ولذلك لما توفي رسول الله ﷺ ووري التراب قال الصحابة: (**فأنكرنا قلوبنا**) وأصابتهم وحشة لأن المربي والمعلم والقدوة عليه الصلاة والسلام قد مات، وجاء وصفهم أيضًا في بعض الآثار (**كالغنم في الليلة الشاتية المطيرة**) ولكنه عليه الصلاة والسلام ترك فيمن ترك وراءه جبالاً كل منهم يصلح للخلافة، وصار بعضهم لبعض قدوة. أما اليوم فالمسلم في أشد الحاجة إلى قدوة يكون قريبًا منه.

٣- ومن الأسباب: **الابتعاد عن طلب العلم الشرعي والاتصال بكتب السلف والكتب الإيمانية التي تحيي القلب:** فهناك أنواع من الكتب يحس القارئ بأنها تستثير في قلبه الإيمان، وتحرك الدوافع الإيمانية الكامنة في نفسه، وعلى رأسها كتاب الله تعالى وكتب الحديث ثم كتب العلماء المجيدين في الرقائق والوعظ، والذين يحسنون عرض العقيدة بطريقة تحيي القلب، مثل كتب العلامة ابن القيم وابن رجب وغيرهم. والانقطاع عن مثل هذه الكتب مع الإغراق في قراءة الكتب الفكرية فقط، أو كتب الأحكام المجردة عن الأدلة، أو كتب اللغة والأصول مثلاً؛ من الأشياء التي تورث أحيانًا قسوة القلب. وهذا ليس ذمًّا في كتب اللغة أو الأصول ونحوها بل هو تنبيه لمن أعرض عن كتب التفسير والحديث، فلا تكاد تجده يقرأ فيها مع أنها هي الكتب التي تصل القلب بالله عَزَّوَجَلَّ فعندما تقرأ في الصحيحين (مثلاً) تشعر أنك تعيش في أجواء العصر الأول مع الرسول ﷺ ومع الصحابة، وتتعرض لنفحات إيمانية من سيرتهم وحياتهم، وتلك الأحداث التي جرت في عصرهم:

أهلُ الحديثِ همُ أهلُ الرسولِ وإن ❊❊ لم يصحبوا نفسه، أنفاسه صحبوا

وهذا السبب – وهو الابتعاد عن الكتب الإيمانية – آثاره بادية على أولئك الذين يدرسون دراسات لا علاقة لها بالإسلام كالفلسفة وعلم النفس والاجتماع وغيرها من الموضوعات التي صيغت بمعزل عن الإسلام. وكذا من يعشق قراءة القصص الخيالية وقصص الحب والغرام، وهواة تتبع الأخبار غير النافعة من الصحف والمجلات والمذكرات وغيرها والاهتمام بها والمداومة على متابعتها.

٤- **ومنها: وجود الإنسان المسلم في وسط يعجُّ بالمعاصي:** فهذا يتباهى بمعصية ارتكبها، وآخر يترنم بألحان أغنية وكلماتها، وثالث يدخن، ورابع يبسط مجلة ماجنة، وخامس لسانه منطلق باللعن والسباب والشتائم وهكذا، أما القيل والقال والغيبة والنميمة وأخبار المباريات فمما لا يحصى كثرة.

وبعض الأوساط لا تذكِّر إلا بالدنيا كما هو الحال في كثير من مجالس الناس ومكاتبهم اليوم، فأحاديث التجارة والوظيفة

والأموال والاستثمارات ومشكلات العمل والعلاوات والترقيات والانتدابات وغيرها تحتل الصدارة في اهتمامات كثير من الناس وأحاديثهم.

وأما البيوت فحدِّث ولا حرج، حيث الطامات والأمور المنكرات مما يندى له جبين المسلم ويتصدع قلبه، فالأغاني الماجنة، والأفلام الساقطة، والاختلاط المحرَّم، وغير ذلك مما تمتلئ به بيوت المسلمين، فمثل هذه البيئات تصاب فيها القلوب بالمرض، وتصبح قاسية ولا شك.

٥- **ومنها: الإغراق في الاشتغال بالدنيا حتى يصبح القلب عبدًا لها:** والرسول ﷺ يقول: **«تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم»**[(١)]، ويقول عليه الصلاة والسلام: **«إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب»**[(٢)]. يعني الشيء اليسير الذي يبلغه المقصود. وهذه الظاهرة واضحة في هذه الأيام التي عمَّ فيها

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٣٠).

(٢) رواه الطبراني ي الكبير (٤/ ٧٨) وهو في صحيح الجامع (٢٣٨٤).

الطمع المادي والجشع في الازدياد من حطام الدنيا، وصار الناس يركضون وراء التجارات والصناعات والمساهمات. وهذا مصداق ما أخبر به ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد لأحبَّ أن يكون إليه ثان، ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب»[1].

٦- ومن الأسباب أيضًا: الانشغال بالمال والزوجة والأولاد: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]. ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]. ومعنى هذه الآية أن حبَّ هذه الأشياء وفي مقدمتها النساء والبنون إذا كان مقدمًا على طاعة الله ورسوله فإنه مستقبح مذموم صاحبه، أما إن كان حبُّ ذلك على وجهه الشرعي المعين

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢١٩) وهو في صحيح الجامع (١٧٨١).

على طاعة الله فهو محمود ممدوح صاحبه، وقد قال النبي ﷺ: **«حُبِّبَ إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة»**(١).

وكثير من الناس ينساق وراء الزوجة في المحرَّمات، وينساق وراء الأولاد منشغلاً عن طاعة الله، وقد قال النبي ﷺ: **«الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة»**(٢).

قوله: **«مبخلة»** إذا أراد الإنسان أن ينفق في سبيل الله ذكَّره الشيطان بأولاده فيقول: أولادي أحق بالمال أبقيه لهم يحتاجونه من بعدي، فيبخل عن الإنفاق في سبيل الله.

وقوله: **«مجبنة»** أي إذا أراد الرجل أن يجاهد في سبيل الله يأتيه الشيطان فيقول: تقتل وتموت فيصبح الأولاد ضياعًا يتامى، فيقعد عن الخروج للجهاد.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٨) وهو في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٤١) وهو في صحيح الجامع (١٩٩٠).

وقوله: «**مجهلة**» أي يشغل الأب عن طلب العلم والسعي في تحصيله وحضور مجالسه وقراءة كتبه.

وقوله: «**محزنة**» أي إذا مرض حزن عليه، وإذا طلب الولد شيئًا لا يقدر عليه الأب حزن الأب، وإذا كبر وعقَّ أباه فذلك الحزن الدائم والهمُّ واللازم.

وليس المقصود ترك الزواج والإنجاب، ولا ترك تربية الأولاد، وإنما المقصود التحذير من الانشغال معهم بالمحرَّمات.

أما فتنة المال فيقول عليه الصلاة والسلام: «**إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال**»(١). والحرص على المال أشد إفسادًا للدين من الذئب الذي تسلط على زريبة غنم، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٦) وهو في صحيح الجامع (٢١٤٨).
(٢) رواه الترمذي رقم(٢٣٧٦) وهو في صحيح الجامع (٥٦٢٠).

ولذلك حث النبي ﷺ على أخذ الكفاية دون توسع يشغل عن ذكر الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يكفيك من جمع المال خادم ومركب في سبيل الله**»[(١)]. وقد تهدد النبي ﷺ المكثرين من جمع الأموال إلا أهل الصدقات فقال: «**ويلٌ للمكثرين إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، وهكذا وهكذا، أربع عن يمينه وعن شماله ومن قدامه ومن ورائه**»[(٢)]، يعني في أبواب الصدقة ووجوه البر.

٧- **طول الأمل**: قال الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]. وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة**)[(٣)]. وجاء في الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا) (ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا والنسيان للآخرة

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٩٠) وهو في صحيح الجامع (٢٣٨٦).

(٢) رواه ابن ماجه رقم(٤١٢٩) وهو في صحيح الجامع (٧١٣٧).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٣٦).

والقسوة في القلب؛ لأن رقته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة كما قال تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقيل: من قصر أمله قلَّ همُّه وتنور قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة...)[1].

٨- **ومن أسباب ضعف الإيمان وقسوة القلب الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة**: فكثرة الأكل تبلد الذهن، وتثقل البدن عن طاعة الرحمن، وتغذي مجاري الشيطان في الإنسان، وكما قيل: **«من أكل كثيرًا شرب كثيرًا، فنام كثيرًا وخسر أجرًا كبيرًا»**.

فالإفراط في الكلام يقسي القلب، والإفراط في مخالطة الناس تحول بين المرء ومحاسبة نفسه والخلوة بها والنظر في تدبير أمرها. وكثرة الضحك تقضي على مادة الحياة في القلب فيموت، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: **«لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»**[2].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٣٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٩٣) وهو في صحيح الجامع (٧٤٣٥).

وكذلك الوقت الذي لا يملأ بطاعة الله تعالى ينتج قلبًا صلدًا لا تنفع فيه زواجر القرآن ولا مواعظ الإيمان.

وأسباب ضعف الإيمان كثيرة ليس بالوسع حصرها. لكن يمكن أن يُسترشد بما ذُكر على ما لم يُذكر منها، والعاقل يدرك ذلك من نفسه، نسأل الله أن يطهر قلوبنا ويَقِيَنا شرَّ أنفسنا.

ثالثًا: علاج ضعف الإيمان

روى الحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب؛ فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»(١). يعني بذلك أن الإيمان يبلى في القلب كما يبلى الثوب إذا اهترأ وأصبح قديمًا، وتعتري قلب المؤمن في بعض الأحيان سحابة من سحب المعصية فيظلم، وهذه الصورة صوَّرها لنا رسول الله ﷺ بقوله في الحديث الصحيح: «ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينا القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم، إذ تجلَّت عنه فأضاء»(٢).

فالقمر تأتي عليه أحيانًا سحابة تغطي ضوءه، وبعد برهة من الزمن تزول وتنقشع فيرجع ضوء القمر مرة أخرى ليضيء في السماء، وكذلك قلب المؤمن تعتريه أحيانًا سحبٌ مظلمة من المعصية، فتحجب نوره، فيبقى الإنسان في ظلمة ووحشة، فإذا

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك(١/ ٤) وهو في السلسلة الصحيحة (١٥٨٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٢): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩٦) وهو في السلسلة الصحيحة (٢٢٦٨).

سعى لزيادة إيمانه واستعان بالله عَزَّوَجَلَّ انقشعت تلك السحب، وعاد نور قلبه يضيء كما كان.

ومن المرتكزات المهمة في فهم قضية ضعف الإيمان وتصور علاجها هو معرفة أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا من صميم اعتقاد أهل السنة والجماعة، فإنهم يقولون: إن الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالجنان»[1]، وعمل بالأركان»[2] يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وقد دلَّت على هذا الأدلة من الكتاب والسنة؛ فمنها قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقوله ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[3].

وأثر الطاعة والمعصية في الإيمان زيادة ونقصانًا أمر معلوم مشاهد ومجرب، فلو أن شخصًا خرج يمشي في السوق ينظر إلى

---

(١) القلب.

(٢) الجوارح.

(٣) البخاري الفتح (١/ ٥١)

المتبرجات ويسمع صخب أهل السوق ولغوهم، ثم خرج فذهب إلى المقبرة فدخلها فتفكر ورقَّ قلبه يجد فرقًا بيِّنًا بين الحالتين، فإذا القلب يتغير بسرعة.

وعن علاقة المفهوم بموضوعنا يقول بعض السلف: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه، وما ينقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أو ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه»[(١)].

ومما ينبغي معرفته أن نقص الإيمان إذا أدى إلى ترك واجب أو فعل محرَّم فهذا فتور خطير صاحبه مذموم، يجب عليه التوبة إلى الله والشروع في علاج نفسه. أما إذا لم يؤد الفتور إلى ترك واجب أو فعل محرم وإنما كان تراجعًا في عمل المستحبات مثلاً؛ فعلى صاحبه أن يسوس نفسه ويسدد ويقارب حتى يعود إلى نشاطه وقوته في العبادة، وهذا مما يستفاد من قوله ﷺ: «**لكل عمل**

---

(١) شرح نونية ابن القيم لابن عيسى (٢/ ١٤٠) ط. المكتب الإسلامي.

شرة[١] ولكل شرة فترة[٢] فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك»[٣].

وقبل الشروع في الكلام عن العلاج يحسن ذكر ملاحظة وهي: أن كثيرًا من الذين يحسون بقسوة قلوبهم يبحثون عن علاجات خارجية يريدون الاعتماد فيها على الآخرين، مع أن بمقدورهم - لو أرادوا - علاج أنفسهم بأنفسهم، وهذا هو الأصل؛ لأن الإيمان علاقة بين العبد وربه، وفيما يلي ذكر عدد من الوسائل الشرعية التي يمكن للمرء المسلم أن يعالج بها ضعف إيمانه، ويزيل قسوة قلبه بعد الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ وتوطين النفس على المجاهدة:

١- تدبر القرآن العظيم الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ تبيانًا لكل شيء، ونورًا يهدي به سبحانه من شاء من عباده. ولا شك أن فيه علاجًا عظيمًا ودواءً فعَّالاً، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

---

(١) نشاط وقوة.

(٢) ضعف وفتور.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢١٠) وهو في صحيح الترغيب رقم(٥٥).

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. أما طريقة العلاج فهي التفكر والتدبر.

وقد كان رسول الله ﷺ يتدبر كتاب الله ويردده وهو قائم بالليل، حتى إنه في إحدى الليالي قام يردد آية واحدة من كتاب الله وهو يصلي، لم يجاوزها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(1) [المائدة: ١١٨].

وكان عليه الصلاة والسلام يتدبر القرآن وقد بلغ في ذلك مبلغًا عظيمًا، روى ابن حبان في صحيحه بإسناد جيد عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد الله بن عمير على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال عبيد الله بن عمير: «حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي - تعني يصلي - فقال: «يا عائشة، ذريني أتعبد لربي»، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، ثم بكى فلم يزل يبلي حتى بلَّ الأرض، وجاء

---

(1) رواه أحمد (٤/ ١٤٩) وفي صفة الصلاة للألباني ص: ١٠٢ ط١١.

بلال يُؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليَّ الليلة آيات، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾»[1] [آل عمران: ١٩٠- ١٩١]، وهذا يدل على وجوب تدبر هذه الآيات.

والقرآن فيه توحيد ووعد ووعيد وأحكام وأخبار وقصص وآداب وأخلاق، وآثارها في النفس متنوعة، وكذلك من السور ما يرهب النفس أكثر من سور أخرى، يدل على ذلك قوله ﷺ: «شيَّبتني هود وأخواتها قبل المشيب»[2]، وفي رواية: «هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كورت»[3]،

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ١٠٦).

(٢) السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٧٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٩٧) وهو في السلسلة الصحيحة برقم(٩٥٥).

لقد شيَّبت رسول الله ﷺ لما احتوته من حقائق الإيمان والتكاليف العظيمة التي ملأت بثقلها قلب الرسول ﷺ فظهرت آثارها على شعره وجسده، ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: ١١٢].

وقد كان صحابته ﷺ يقرءون ويتدبرون ويتأثرون، وكان أبوبكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلاً أسيفًا رقيق القلب إذا صلى بالناس وقرأ كلام الله لا يتمالك نفسه من البكاء، ومرض عمر من أثر تلاوة قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور: ٧ - ٨](١). وسُمع نشيجه من وراء الصفوف لما قرأ قول الله عن يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦](٢).

وقال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لو طَهُرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله، وقُتل شهيدًا مظلومًا ودمه على مصحفه، وأخبار الصحابة في هذا كثيرة.

---

(١) الأثر بأسانيده في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٦) ط. دار الشعب.
(٢) مناقب عمر لابن الجوزي (١٦٧).

وعن أيوب قال: سمعت سعيدًا [ابن جبير] يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[١] وهي آخر آية نزلت من القرآن وتمامها ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧] في هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، وحتى عند سجدات التلاوة كانت لهم مواقف فمنها: قصة ذلك الرجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٩]. فسجد سجدة التلاوة ثم قال معاتبًا نفسه: هذا السجود فأين البكاء؟

ومن **أعظم التدبر تدبر أمثال القرآن**؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما ضرب لنا الأمثال في القرآن ندبنا إلى التفكر والتذكر فقال: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥] وقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٦).

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

تفكر أحد السلف مرة في مثل من أمثال القرآن فلم يتبين له معناه فجعل يبكي، فسُئل ما يبكيك؟ فقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وأنا لم أعقل المثل، فلست بعالم، فأبكي على ضياع العلم مني.

وقد ضرب الله لنا في القرآن أمثلة كثيرة منها: مثل الذي استوقد نارًا، ومثل الذي ينعق بما لا يسمع، ومثل الحبة التي أنبتت سبع سنابل، ومثل الكلب الذي يلهث، والحمار يحمل أسفارًا، والذباب، والعنكبوت، ومثل الأعمى والأصم، والبصير والسميع، ومثل الرماد الذي اشتدت به الريح، والشجرة الطيبة، والشجرة الخبيثة، والماء النازل من السماء، ومثل المشكاة التي فيها مصباح، والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والرجل الذي فيه شركاء متشاكسون، وغيرها. والمقصود الرجوع إلى آيات الأمثال والاعتناء بها عناية خاصة.

ويلخص ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ما على المسلم أن يفعله لعلاج قسوة قلبه بالقرآن فيقول:** «ملاك ذلك أمران: أحدهما: أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يُراد منه، وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك من كل آياته، وتنزلها على داء قلبك، فإذا نزلت هذه الآية على داء القلب برئ القلب بإذن الله».

٢- استشعار عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، **ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها:** واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب، فهو ملكها وسيدها، وهي بمثابة جنوده وأتباعه، فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت.

والنصوص من الكتاب والسُّنة في عظمة الله كثيرة إذا تأملها المسلم ارتجف قلبه، وتواضعت نفسه للعلي العظيم، وخضعت أركانه للسميع العليم، وازداد خشوعًا لرب الأولين والآخرين؛ فمن ذلك ما جاء من أسمائه الكثيرة وصفاته سبحانه، فهو العظيم المهيمن الجبار المتكبر القوي القهار الكبير المتعال. هو الحي الذي

لا يموت والجن والإنس يموتون، وهو القاهر فوق عباده ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، عزيز ذو انتقام، قيوم لا ينام، وسع كل شيء علمًا، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وقد وصف سعة علمه بقوله: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومن عظمته ما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]. قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**»(١).

ويتضعضع الفؤاد ويرجف القلب عند التأمل في قصة موسى عليه الصلاة والسلام لما قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فقال الله: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤٧) ط. البغا.

﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ولما فسَّر النبي ﷺ هذه الآية قرأها وقال بيده هكذا - ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر - ثم قال عليه الصلاة والسلام: «فساخ الجبل»[(١)]. يعني ما تجلى إلا هذا القدر فساخ الجبل، والله سبحانه وتعالى: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[(٢)].

ومن عظمة الله ما حدَّث به الرسول ﷺ فقال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير»[(٣)].

---

(١) الحديث رواه الترمذي برقم(٣٠٧٤) وأحمد (٣/ ١٢٥، ٢٠٩) وساق ابن كثير طرق الحديث في تفسيره (٣/ ٤٦٦) ط.دار الشعب. وقال ابن القيم: إسناده صحيح على شرط مسلم وخرجه الألباني وصححه في تخريج السنة لابن أبي عاصم حديث (٤٨٠).

(٢) رواه مسلم برقم(١٩٧).

(٣) رواه البخاري (٧٠٤٣).ط البغا.

والنصوص في هذا كثيرة، والمقصود أن استشعار عظمة الرب بالتأمل في هذه النصوص وغيرها من أنفع الأشياء في علاج ضعف الإيمان، ويصف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظمة الله بكلام عذب جميل فيقول: «يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.. ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية.. ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. يغفر ذنبًا، ويفرج همًّا،

ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويهدي ضالاً، ويُرشد حيرانًا، ويغيث لهفانًا، ويُشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويستر عورة، ويؤمِّن روعة، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين.. لو أن أهل سمواته وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، كانوا على أتقى قلب رجل منهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم، كانوا على أفجر قلب رجل منهم، ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه، وإنسهم وجنهم، وحيهم وميتهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلاِ منهم ما سأله، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.. هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، تبارك وتعالى أحق من ذُكر، وأحق من عُبد، وأولى من شكر، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل.. هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا نِدَّ له،

والصمد فلا ولد له، والعلي فلا شبيه له، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل شيء زائل إلا مُلكه.. لن يُطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويُعصى فيغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، أخذ بالنواصي وسجَّل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، عطاؤه كلام وعذابه كلام ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] [١].

٣ - **طلب العلم الشرعي**: وهو العلم الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله وزيادة الإيمان به عَزَّوَجَلَّ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. فلا يستوي في الإيمان الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فكيف يستوي من يعلم تفاصيل الشريعة ومعنى الشهادتين ومقتضياتهما، وما بعد الموت من فتنة القبر وأهوال المحشر ومواقف القيامة، ونعيم الجنة وعذاب النار،

---

(١) الوابل الصيب مكتبة دار البيان ص: ١٢٥ بتصرف.

وحكمة الشريعة في أحكام الحلال والحرام وتفصيل سيرة النبي ﷺ وغير ذلك من أنواع العلم، كيف يستوي هذا في الإيمان ومن هو جاهل بالدين وأحكامه وما جاءت به الشريعة من أمور الغيب، حظُّه من الدين التقليد، وبضاعته من العلم مُزْجاة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

٤ - **لزوم حلق الذكْر** وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب منها ما يحصل فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحفِّ الملائكة للذاكرين، وذكر الله لهم في الملأ الأعلى، ومباهاته بهم الملائكة، ومغفرته لذنوبهم، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها قوله ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[1]. وعن سهل بن الحنظلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم**»[2].

---

(١) صحيح مسلم رقم(٢٧٠٠).

(٢) صحيح الجامع (٥٥٠٧).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويطلق ذكر الله ويُراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم[(١)].

ومما يدل على أن مجالس الذكر تزيد الإيمان ما أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن حنظلة الأسيدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأي عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات[(٢)] فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبوبكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٠٩) ط. دار الفكر.
(٢) المعاش من مال أو حرفة أو صنعة.

من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات(١).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على الجلوس للذكر ويسمونه إيمانًا، قال معاذ رضي الله عنه لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»(٢).

٥- ومن الأسباب التي تقوي الإيمان الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها: وهذا من أعظم أسباب العلاج، وهو أمر عظيم وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير، وقد ضرب الصديق في ذلك مثلاً عظيمًا لما سأل الرسول ﷺ أصحابه: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا»،

---

(١) صحيح مسلم رقم(٢٧٥٠).
(٢) إسناده صحيح: أربع مسائل في الإيمان، تحقيق الألباني ص: ٧٢.

قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»[(١)].

فهذه القصة تدل على أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان حريصًا على اغتنام الفرص، وتنويع العبادات، ولما وقع السؤال من النبي ﷺ مفاجئًا دلَّ ذلك على أن أيام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت حافلة بالطاعات، وقد بلغ السلف - رحمهم الله - في ازديادهم من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها مبلغًا عظيمًا، ومثال ذلك عبارة كانت تقال عن جماعة من السلف منهم حماد بن سلمة، قال فيه الإمام عبد الرحمن بن مهدي: «لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا»[(٢)].

وينبغي أن يراعي المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أمورًا منها:

---

(١) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب (١)، حديث رقم(١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٧).

* المسارعة إليها؛ لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾[آل عمران: ١٣٣]. وقال الله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد: ٢١]. ومدلول هذه الآيات كان محركًا للمسارعة عند أصحاب النبي ﷺ.

روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في صحيحه عن أنس بن مالك في قصة غزوة بدر لما دنا المشركون قال... فقال النبي ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض قال: «**نعم**». قال: بخ بخ[(١)]. فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[(٢)].

---

(١) كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه.

(٢) صحيح مسلم (١٩٠١).

ومن قبل أسرع موسى للقاء الله وقال: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤] وامتدح الله زكريا وأهله فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال النبي ﷺ: «التؤدة في كل شيء (وفي رواية: خير) إلا في عمل الآخرة»[١].

* **الاستمرار عليها**، يقول الرسول ﷺ عن ربه في الحديث القدسي: «وما يزال عبدي، يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»[٢] وكلمة «ما يزال» تفيد الاستمرارية، ويقول النبي ﷺ: «تابعوا بين الحج والعُمرة»[٣]. والمتابعة تعني كذلك الاستمرار، وهذا المبدأ مهم في تقوية الإيمان وعدم إهمال النفس حتى لا تركن وتأسن، والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٥/ ١٥٧) وهو في صحيح الجامع (٣٠٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٦١٣٧).

(٣) رواه الترمذي رقم(٨١٠) وهو السلسلة الصحيحة (١٢٠٠).

* والمداومة على الأعمال الصالحة تقوي الإيمان، وقد سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قل**»[(١)].
وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته[(٢)].

* **الاجتهاد فيها**: إن علاج قسوة القلب لا يصلح أن يكون علاجًا مؤقتًا يتحسن فيه الإيمان فترة من الوقت ثم يعود إلى الضعف، بل ينبغي أن يكون نهوضًا متواصلاً بالإيمان، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بالاجتهاد في العبادة.

وقد ذكر الله في كتابه من اجتهاد أوليائه في عبادته أحوالاً عدة فمنها: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦]، وقال الله تعالى عنهم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٩].

---

(١) رواه البخاري، الفتح (١١/ ١٩٤).
(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب (١٨) حديث (١٤١).

❋ **والاطلاع على حال السلف في تحقيق صفات العابدين شيء يبعث على الإعجاب ويقود إلى الاقتداء**، فمن ذلك أنه كان لهم سُبع من القرآن يختمونه كل يوم، وكانوا يقومون الليل في ليالي الغزو والقتال، ويذكرون الله ويتهجدون حتى في السجن، يصفّون أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم، يتفكرون في خلق السموات والأرض، يخادع أحدهم زوجته كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أنها نامت انسل من لحافها وفراشها لصلاة القيام، يقسِّمون الليل على أنفسهم وأهليهم، ونهارهم في الصيام والتعلم والتعليم واتباع الجنائز وعيادة المرضى وقضاء حوائج الناس، تمر على بعضهم السنون لا تفوتهم تكبيرة الإحرام مع الإمام في الجماعة، قلوبهم معلقة بالمساجد ينتظرون الصلاة بعد الصلاة، يتفقد أحدهم عيال أخيه بعد موته سنوات ينفق عليهم، ومن هذا حاله فإيمانه في ازدياد.

❋ **عدم إملال النفس**: ليس المقصود من المداومة على العبادات أو الاجتهاد فيها إيقاع النفس في السآمة وتعريضها للملل، وإنما المقصود عدم الانقطاع عن العبادة.

والموازنة بين الأمرين تكون بأن يكلف المسلم نفسه من العبادة ما يطيق، ويسدد ويقارب وينشط إذا رأى نفسه مقبلة، ويقتصد عند الفتور، ويدل على هذه التصورات مجموعة من الأحاديث، منها قوله ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا...**»[(١)] وفي رواية: «**والقصد القصد تبلغوا**»[(٢)]، وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب ما يكره من التشديد في العبادة.. عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلَّقت، فقال النبي ﷺ: «**لا، حلُّوه ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**»[(٣)].

ولما علم النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقوم الليل كله ويصوم النهار متتابعا نهاه عن ذلك، وبيَّن السبب بقوله: «**فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك**[(٤)] **ونفهت نفسك**[(٥)]».

---

(١) صحيح البخاري (٣٩).
(٢) صحيح البخاري (٦٠٩٩).
(٣) صحيح البخاري (١٠٩٩).
(٤) أي غارت أو ضعفت لكثرة السهر.
(٥) أي كَلَّت.

وقال رسول الله ﷺ: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله عَزَّوَجَلَّ أدومه وإن قل**»[(١)].

* **استدراك ما فات منها**: فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من نام عن حزبه من الليل، أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل**»[(٢)]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة داوم عليها، وكان إذا فاته القيام من الليل غلبته عيناه بنوم أو وجع صلى ثنتي عشرة ركعة من النهار[(٣)]، وفي رواية: «**كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري، فتح (٣/ ٣٨).

(٢) رواه النسائي وغيره، المجتبي: (٢/ ٦٨)، صحيح الجامع (١٢٢٨).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٩٥).

(٤) رواه مسلم (١/ ٥١٥). ط. عبد الباقي.

ولما رأته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يصلي ركعتين بعد العصر وسألته أجابها عليه الصلاة والسلام بقوله: «**يا ابنة أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان**»[(١)].

وكان إذا لم يصل أربعًا قبل الظهر صلاهن بعده»[(٢)].

وكان إذا فاته الأربع قبل الظهر صلاها بعد الظهر[(٣)]، فهذه الأحاديث تدل على قضاء السنن الرواتب، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في صومه ﷺ شعبان أكثر من غيره ثلاث معان: أولها: أنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما شغل عن الصيام أشهرًا فجمع ذلك في شعبان ليدركه قبل صيام الفرض «أي رمضان»[(٤)]، وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضانَ، فلما

---

(١) رواه البخاري فتح: (٣/ ١٠٥).
(٢) رواه الترمذي رقم(٤٢٦)، وصحيح سنن الترمذي رقم(٧٢٧).
(٣) صحيح الجامع (٤٧٥٩).
(٤) تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٣١٨).

فاته الاعتكاف مرة لعارض السفر اعتكف في العام المقبل عشرين يومًا[١].

* **رجاء القبول مع الخوف من عدم القبو.**

وبعد الاجتهاد في الطاعات ينبغي الخوف من ردِّها على صاحبها، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[٢].

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أستيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][٣].

---

(١) فتح الباري (٤/ ٢٨٥).
(٢) رواه الترمذي (٣١٧٥) وهو في السلسلة الصحيحة ج١ رقم(١٦٢).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٧).

ومن صفات المؤمنين احتقار النفس أمام الواجب من حق الله تعالى، قال النبي ﷺ: **«لو أن رجلاً يُجرُّ على وجهه من يوم وُلِدَ إلى يوم يموت هرمًا في مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ لحقره يوم القيامة»**[١].

فمن عرف الله وعرف النفس يتبين له أن ما معه من البضاعة لا يكفي ولو جاء بعمل الثقلين، وإنما يقبله سبحانه وتعالى بكرمه وجوده وتفضله، ويثيب عليه بكرمه وجوده وتفضله.

٦- **تنويع العبادات**: من رحمة الله وحكمته أن نوَّع علينا العبادات، فمنها ما يكون بالبدن كالصلاة، ومنها ما يكون بالمال كالزكاة، ومنها ما يكون بهما معًا كالحج، ومنها ما هو باللسان كالذكر والدعاء، وحتى النوع الواحد ينقسم إلى فرائض وسنن مستحبة.

والفرائض تتنوع وكذلك السنن مثل: الصلاة فيها رواتب ثنتي عشرة ركعة في اليوم، ومنها ما هو أقل منزلة كالأربع قبل العصر وصلاة الضحى، ومنها ما هو أعلى كصلاة الليل، وهي

---

(١) رواه الإمام أحمد، المسند (٤/ ١٨٥) وهو في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

كيفيات متعددة منها مثنى مثنى، أو أربع ثم أربع ثم يوتر، ومنا خمس أو سبع أو تسع بتشهد واحد، وهكذا من يتتبع العبادات يجد تنويعًا عظيمًا في الأعداد والأوقات والهيئات والصفات والأحكام.

ولعل من الحكمة في ذلك ألا تمل النفس ويستمر التجدد، ثم إن النفوس ليست متماثلة في انجذابها وإمكاناتها، وقد تستلذ بعض النفوس في القيام بعبادات أكثر من غيرها، وسبحان الذي جعل أبواب الجنة على أنواع العبادات كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة»[1] والمقصود المكثرون من أصحاب النوافل في كل عبادة.

---

(١) رواه البخاري رقم(١٧٩٨).

أما الفرائض فلابد من تأديتها للجميع، وقال ﷺ: **«الوالد أوسط أبواب الجنة»**[(١)] أي بر الوالدين، ويمكن الاستفادة من هذا التنوع في علاج ضعف الإيمان والاستكثار من العبادات التي تميل إليها النفس مع المحافظة على الفرائض والواجبات التي أمر الله بها، هذا ويمكن للمرء المسلم إذا استعرض نصوص العبادات أن يجد أنواعًا فريدة لها آثار ومعان لطيفة في النفس قد لا توجد في غيرها، وهذان مثالان:

* روى أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يشنؤهم الله عَزَّوَجَلَّ** (أي يبغضهم) **أما الثلاثة الذين يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في الفئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سُراهم حتى يحبوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون، فيتنحّى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جواره فيصبر على أذاه حتى يفرِّق بينهما موت أو ظعن»**[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي رقم(١٩٠٠) وهو في صحيح الجامع (٧١٤٥).

(٢) مسند أحمد (٥/ ١٥١) هو في صحيح الجامع (٣٠٧٤).

* أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه فقال له ﷺ: «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك**»[١]، وهذا شاهد مباشر لموضوع علاج ضعف الإيمان.

٧- **ومن علاجات ضعف الإيمان الخوف من سوء الخاتمة**: لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة، ويجدد الإيمان في القلب، أما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة منها: ضعف الإيمان والانهماك في المعاصي، وقد ذكر النبي ﷺ لذلك صورًا مثل قوله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ**[٢] **بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه**[٣] **في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[٤].

---

(١) الحديث رواه الطبراني وله شواهد، انظر السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٣٣).
(٢) يطعن.
(٣) يشربه في تمهل ويتجرعه.
(٤) صحيح مسلم رقم(١٠٩).

وقد حدثت في عهده ﷺ وقائع من هذا فمنها قصة الرجل الذي كان مع عسكر المسلمين يقاتل الكفار قتالاً لم يقاتله أحد مثله، فقال النبي ﷺ: **«أما إنه من أهل النار»** فتتبعه رجل من المسلمين فأصاب الرجل جرح شديد؛ فاستعجل الموت فوضع سيفه بين ثدييه واتكأ عليه فقتل نفسه[(١)].

* وأحوال الناس في سوء الخاتمة كثيرة سطَّر أهل العلم عددًا منها، فمن ذلك ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب **«الداء والدواء»** أنه قيل لبعضهم عند موته: قل لا إله إلا الله فقال: لا أستطيع أن أقولها. وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء، وقيل لتاجر - ممن ألهته تجارته عن ذكر الله - لما حضرته الوفاة: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول هذه قطعة جيدة، هذه على قدرك، هذه مشتراها رخيص حتى مات[(٢)].

ويروى أن بعض جنود الملك الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول له: قل لا إله إلا الله فقال: الناصر مولاي، فأعاد عليه القول

---

(١) القصة في صحيح البخاري، رقم(٧/ ٤٧١).

(٢) طريق الهجرتين ص: (٣٠٨) دار الكتب العلمية ط. (١، ٢، ١٤).

وأبوه يكرر الناصر مولاي، الناصر مولاي ثم مات، وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والبستان الفلاني افعلوا فيه كذا، وقيل لأحد المرابين عند موته: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول عشرة بأحد عشر يكررها حتى مات[1]، وبعضهم قد يسودُّ لونه أو يتحول وجهه عن القبلة.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد سمعت بعض من كنت أظن فيه كثرة خير وهو يقول في ليالي موته: «**ربي هو ذا يظلمني**» تعالى الله عن قوله – فاتَّهمَ اللهَ بالظلم وهو على فراش الموت، ثم قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلم أزل منزعجًا مهتمًا بتحصيل عدة ألقى بها هذا اليوم[2]، وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم[3].

---

(١) الدار والدواء ص: (١٧٠، ٢٨٩ ط. ٣) مكتبة دار التراث.

(٢) صيد الخاطر (١٣٧) المكتبة العلمية.

(٣) الداء والدواء (١٧١).

٨ – **الإكثار من ذكر الموت**: يقول الرسول ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت**»[(١)] وتذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ولا يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه.

ومن أعظم ما يذكِّر بالموت زيارة القبور؛ ولذلك أمر النبي ﷺ بزيارتها فقال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترقّ القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا**»[(٢)].

بل يجوز للمسلم أن يزور مقابر الكفار للاتعاظ، والدليل على ذلك ما ورد في الصحيح أنه ﷺ «**زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[(٣)].

فزيارة القبور من أعظم وسائل ترقيق القلوب، وينتفع الزائر بذكر الموت، وكذلك ينتفع الموتى بالدعاء لهم، ومما ورد في السنة

---

(١) رواه الترمذي رقم(٢٣٠٧) وهو في صحيح الجامع (١٢١٠).
(٢) رواه الحاكم (١/ ٣٧٦) وهو في صحيح الجامع (٤٥٨٤).
(٣) رواه مسلم (٣/ ٦٥).

في ذلك قوله ﷺ: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»(١).

وينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ويقصد بزيارته وجه الله وإصلاح فساد قلبه، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب.

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذلُّ اليُتم أولادهم، وليتذكر آفة الانخداع بالأسباب والركون إلى الصحة والشباب، والميل إلى اللهو واللعب، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم، وليتفكر في حال الميت كيف تهدمت رجلاه، وسالت عيناه، وأكل الدود لسانه، وأبلى التراب أسنانه(٢).

---

(١) رواه مسلم رقم(٩٧٤).

(٢) التذكرة للقرطبي ص(١٦) وما بعدها بتصرف.

يا من يصيخ إلى داعي الشقاء وقد ** نادى به الناعيان الشيبُ والكِبَرُ

إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم تُرى ** في رأسك الواعيان السمعُ والبصرُ

ليس الأصمُ ولا الأعمى سوى رجلٍ ** لم يهده الهاديان العينُ والأثرُ

لا الدهرُ يبقى ولا الدنيا ولا الفلك ** أعلى ولا النَيّرانُ الشمسُ القَمرُ

ليرحلن عن الدنيا وإن ** فراقها الثاويان البدو والحضرُ (١)

*** ومن أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة.**

ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.. ومما يؤثر في النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد.

---

(١) الأبيات لعبد الله بن محمد الأندلسي الشنتريني: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٦) ط. دار الشعب.

دخل الحسن البصري على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، والله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه[١].

* **ومن تمام الشعور بالموت الصلاة على الجنازة، وحملها على الأعناق، والذهاب بها إلى المقبرة ودفن الميت، ومواراة التراب عليه**، وهذا يذكر بالآخرة، قال النبي ﷺ: **«عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة»**[٢]، وبالإضافة إلى ذلك فإن في اتباع الجنازة أجرًا عظيمًا ذكره النبي ﷺ بقوله: **«من شهد الجنازة من بيتها** [وفي رواية: من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا] **حتى يُصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان من الأجر»** قيل: يا رسول الله، وما القيراطان؟ قال: **«مثل الجبلين العظيمين»** [وفي رواية: كل قيراط مثل أُحد][٣].

---

(١) التذكرة (١٧).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٨) وهو في صحيح الجامع (٤١٠٩).

(٣) رواه الشيخان وغيرهما، والسياق مجموع من الروايات: أحكام الجنائز للألباني ص: (٦٧) ط.٤ المكتب الإسلامي.

وكان السلف رحمهم الله يذكِّرون بالموت عند نصح رجل يواقع معصية، فهذا أحد السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان في مجلسه رجل ذكر آخر بغيبة فقال واعظًا الذي يغتاب: «اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك» أي عند التكفين.

٩ – ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب تذكر منازل الآخرة: يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب، يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه، فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق، وقد نزلت ملائكة السموات فأحاطت بهم، وقد جاء الله، وقد نصب كرسيه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنوره ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء، وقد نصب الميزان وتطايرت الصحف، واجتمعت الخصوم، وتعلق كل غريم بغريمه، ولاح الحوض وأكوابه عن كثب، وكثر العطاش، وقلَّ الوارد، ونصب الجسر للعبور، ولُزَّ الناس إليه، وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه، والنار يحطم بعضها بعضًا تحته، والمتساقطون فيها أضعاف



أضعاف الناجين، فينفتح في قلبه عين يرى بها ذلك، ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها، والدنيا وسرعة انقضائها[١].

* **والقرآن العظيم فيه ذكر كثير لمشاهد اليوم الآخر في سوره مثل سورة ق والواقعة والقيامة والمرسلات والنبأ والمطففين والتكوير**، وكذلك في مصنفات الحديث مذكورة فيها تحت أبواب مثل القيامة، الرقاق، الجنة والنار.

ومن المهم كذلك في هذا الجانب قراءة كتب أهل العلم المفردة لهذا الغرض مثل حادي الأرواح لابن القيم، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، والقيامة الكبرى والجنة والنار لعمر الأشقر وغيرها، والمقصود أن مما يزيد الإيمان العلم بمشاهد القيامة كالبعث والنشور، والحشر، والشفاعة، والحساب، والجزاء، والقصاص، والميزان، والحوض، والصراط، ودار القرار، الجنة أو النار.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٣).

١٠ – ومن الأمور التي تجدد الإيمان: التفاعل مع الآيات الكونية: روى البخاري ومسلم وغيرهما «أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه» فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عُذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»[1]، وكان ﷺ يقوم فزعًا إذا رأى الكسوف كما جاء في صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة[2]، وأمرنا عليه الصلاة والسلام عند الكسوف والخسوف أن نفزع إلى الصلاة، وأخبر أنهما من آيات الله التي يخوِّف بها عباده، ولا شك أن تفاعل القلب مع هذه الظواهر والفزع منها يجدد الإيمان في القلب، ويذكر بعذاب الله وبطشه، وعظمته وقدرته، وقوته ونقمته ، وقالت

(١) رواه مسلم (٨٩٩).
(٢) فتح الباري (٢/ ٥٤٥).

عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم أشار إلى القمر فقال: «**يا عائشة، استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب**»[(١)].

ومن أمثلة ذلك أيضًا التأثر عند المرور بمواضع الخسف والعذاب وقبور الظالمين: فقد روى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما وصلوا الحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم**»[(٢)]، هذا والناس اليوم يذهبون إليها للسياحة والتصوير فتأمل!!

١١- ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان ذكر الله تعالى: وهو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] ووعد بالفلاح مَنْ أكثر منه فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٣٧) وهو في السلسلة الصحيحة (٣٧٢).
(٢) رواه البخاري رقم(٤٢٣).

وذكر الله أكبر من كل شيء قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وهو وصية النبي ﷺ لمن كَثُرت عليه شرائع الإسلام فقال له: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[١] وهو مرضاة للرحمن مطردة للشيطان، مزيل للهم والغم، جالب للرزق، فاتح لأبواب المعرفة، وهو غراس الجنة وسبب لترك آفات اللسان، وهو سلوة أحزان الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به، فعوَّضهم الله بالذكر الذي ينوب عن الطاعات البدنية والمالية ويقوم مقامها.

وترك ذكر الله من أسباب قسوة القلب:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ** وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ** وليس لم حتى النشور نشور

ولذلك لابد لمن يريد علاج ضعف إيمانه من الإكثار من ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٥) وقال: حديث حسن غريب، وهو في صحيح الكلم ٣.

وقال الله تعالى مبيِّنًا أثر الذكر على القلب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العلاج بالذكر: «في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

وقال رجل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بالذكر.

وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، «والذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى، قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء»(١).

*** وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.**

---

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ١٤٢ ط. مكتبة دار البيان.

قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين - أي يجتمعون على الشيطان الذي حاول أن يقترب من قلب المؤمن - فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسَّه الإنسي![1].

وأكثر الناس الذين تمسهم الشياطين هم من أهل الغفلة الذين لم يتحصنوا بالأوراد والأذكار، ولذلك سهل تلبس الشياطين بهم.

وبعض الذين يَشْكُون من ضعف الإيمان تثقل عليهم بعض وسائل العلاج كقيام الليل والنوافل، فيكون من المناسب لهم البدء بهذا العلاج والحرص عليه، فيحفظون من الأذكار المطلقة ما يرددونه باستمرار مثل: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» و«**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» و«**لا حول ولا قوة إلا بالله**»

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٢٤).

وغيرها، ويحفظون كذلك من الأذكار المقيدة التي جاءت في السُّنة ما يرددونه إذا حان وقته زمانًا أو مكانًا مثل أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، والرؤى والأحلام، والأكل والخلاء والسفر والمطر، والأذان والمسجد والاستخارة، والمصيبة والمقابر والريح ورؤية الهلال، وركوب الدابة والسلام والعطاس وصياح الديكة، والنهيق والنباح، وكفارة المجلس ورؤية أهل البلاء وغيرها، ولا ريب أن من حافظ على هذه سيجد الأثر مباشرًا في قلبه(١).

١٢- ومن الأمور التي تجدد الإيمان مناجاة الله والانكسار بين يديه عَزَّوَجَلَّ: وكلما كان العبد أكثر ذلة وخضوعًا كان إلى الله أقرب، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء»**(٢)، لأن حال السجود فيها ذلة وخضوع ليست في بقية الهيئات والأوضاع، فلما ألزق العبد جبهته في الأرض - وهي أعلى شيء فيه - صار أقرب ما يكون من ربه.

---

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مفيدة في الأذكار أسماها الكلم الطيب اختصرها العلامة الألباني باسم صحيح الكلم الطيب.

(٢) رواه مسلم (٤٨٢).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام جميل بلسان الذلة والانكسار للتائب بين يدي الله: «فلله ما أحلى قول القائل في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك[1] هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلَّ لك قلبه..». فعندما يأتي العبد بمثل هذه الكلمات مناجيًا ربه فإن الإيمان يتضاعف في قلبه أضعافًا مضاعفة.

وكذلك إظهار الافتقار إلى الله مما يقوي الإيمان: والله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بفقرنا إليه وحاجتنا له، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

---

(١) سؤال العبد ربه بذله له وفقره إليه هو من باب التوسل بالأعمال الصالحة وهذا مشروع.

١٣- قِصَر الأمل: وهذا مهم جدًّا في تجديد الإيمان، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم ما فيها هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [يونس: ٤٥] فهذه كل الدنيا - فلا يطوّل الإنسان الأمل يقول: سأعيش وسأعيش، قال بعض السلف لرجل: صلِّ بنا الظهر، فقال الرجل: إن صليت بكم الظهر لم أُصلِّ بكم العصر، فقال: وكأنك تؤمل أن تعيش لصلاة العصر، نعوذ بالله من طول الأمل.

١٤- التفكر في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال النبي ﷺ: «**إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً، فانظر ما يخرج من ابن آدم - وإن قزَّحه وملحه - قد علم إلى ما يصير**»[1]. وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١/ ١٩٨) وهو في السلسلة الصحيحة رقم(٣٨٢).

يقول: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا**»(١).

١٥- ومن الأمور المجددة للإيمان في القلب تعظيم حرمات الله: يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وحرمات الله هي حقوق الله سبحانه وتعالى، وقد تكون في الأشخاص، وقد تكون في الأمكنة، وقد تكون في الأزمنة، فمن تعظيم حرمات الله في الأشخاص القيام بحق الرسول ﷺ مثلاً، ومن تعظيم شعائر الله في الأمكنة تعظيم الحرم مثلاً، ومن تعظيم شعائر الله في الأزمنة تعظيم شهر رمضان مثلاً، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

* **ومن التعظيم لحرمات الله عدم احتقار الصغائر**، وقد روى عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**» وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر

---

(١) رواه ابن ماجه رقم(٤١١٢) وهو في صحيح الترغيب والترهيب رقم(٧١).



صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادًا فأججوا نارًا وأنضجوا ما قذفوا فيها[١].

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: «كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها هينة، وهي تقدح في الأصول، مثل إطلاق البصر في المحرمات، وكاستعارة بعض طلاب العلم جزءًا لا يردونه» وقال بعض السلف: «تسامحت بلقمة فتناولتها فأنا اليوم من أربعين سنة إلى خلف»، وهذا من تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٦- ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب: الولاء والبراء أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين: وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جدًّا، وتذوى معاني العقيدة فيه، فإذا جرد

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٠٢) وهو في السلسلة الصحيحة (٣٨٩).

الولاء لله فوالى عباد الله المؤمنين وناصرهم، وعادى أعداء الله ومقتهم فإنه يحيا بالإيمان.

١٧ – وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر، لأن التواضع في الكلام والأفعال والمظهر دال على تواضع القلب لله، وقد قال ﷺ: «**البذاذة من الإيمان**»[١]. وقال أيضًا: «**من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يُخيّره من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها**»[٢]. وقد كان عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه لا يُعرف من بين عبيده.

١٨ – وهناك أعمال للقلوب مهمة في تجديد الإيمان مثل محبة الله والخوف منه ورجاؤه وحسن الظن به، والتوكل عليه، والرضا به وبقضائه، والشكر له والصدق معه واليقين به، والثقة به سبحانه، والتوبة إليه، وما سوى ذلك من الأعمال القلبية.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١١٨) وهو في السلسلة الصحيحة رقم(٣٤١): [أراد التواضع في الهيئة واللباس انظر النهاية لابن الأثير (١/ ١١٠)].

(٢) رواه الترمذي رقم(٢٤٨١) وهو في السلسلة الصحيحة (٧١٨).

وهناك مقامات ينبغي على العبد الوصول إليها لاستكمال العلاج: كالاستقامة والإنابة والتذكر، والاعتصام بالكتاب والسنة، والخشوع والزهد، والورع والمراقبة، وقد أفاض في هذه المقامات ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «مدارج السالكين».

١٩ - ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان: يقول جل وعلا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، ويقول الحسن: «لا تلقى المؤمن إلا وهو يحاسب نفسه»، وقال ميمون بن مهران: «إن التقي أشد محاسبة لنفسه من شريك شحيح».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها.

فلابد أن يكون للمسلم وقت يخلو فيه بنفسه فيراجعها ويحاسبها وينظر في شأنها، وماذا قدّم من الزاد ليوم المعاد.

٢٠ - وختامًا، فإن دعاء الله عَزَّوَجَلَّ من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها: كما قال النبي ﷺ: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»(١).

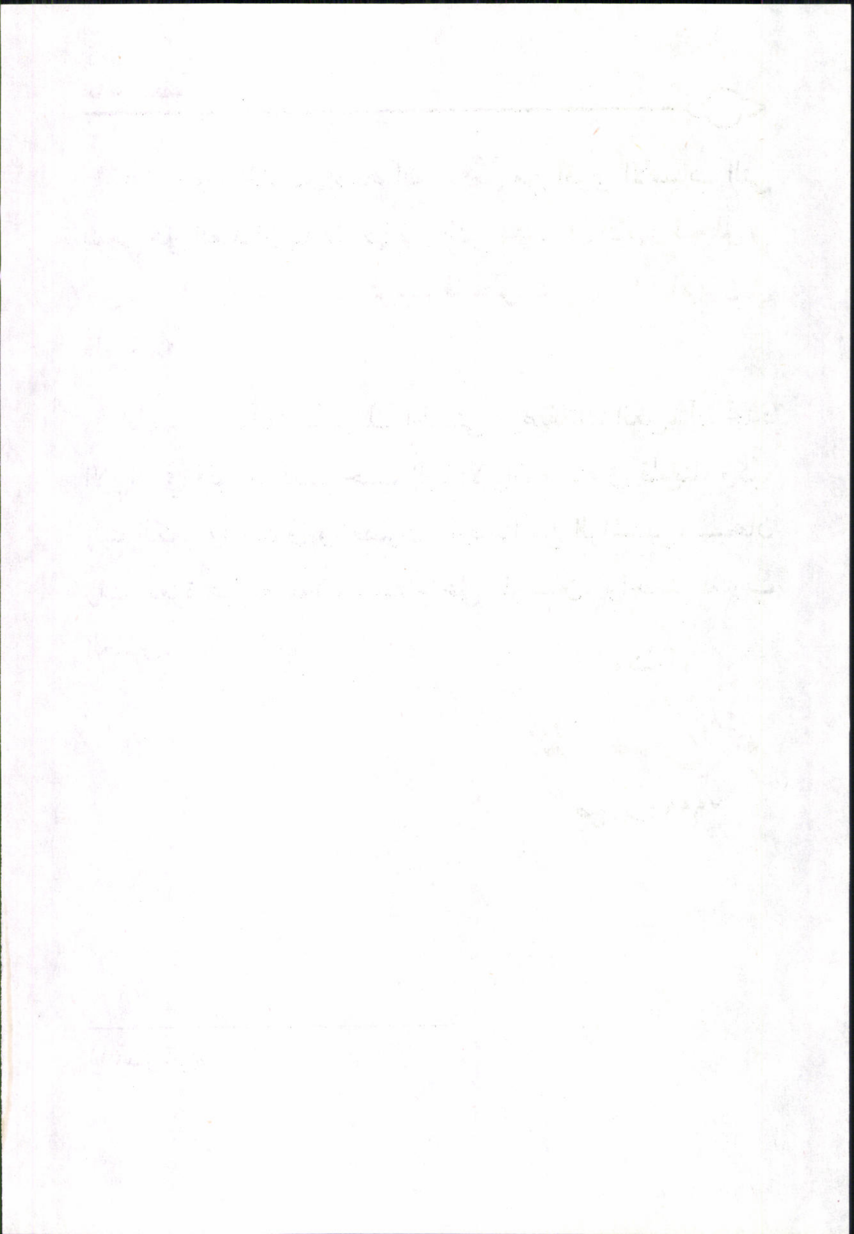
اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، أن تجدد الإيمان في قلوبنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، سبحان رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد صالح المنجد

ص. ب: ٢٩٩٩

(١) سبق تخريجه.



فهـرس الموضوعات